الفرق بين الرجل والمرأة
نورهان إبراهيم عبد الله

Men and Women: Are they different?

Nurhana Ibrahim Abdullah
Researcher at Ibin An-Nafees Institute

مـقـدمـــة.

منذ بدء الخليقة والناس يناقشون قضية المساواة بين الرجال والنساء؛ هل هما متساويان؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل هذه المساواة مطلقة أم هي نسبية؟ وإذا كانا غير متساويين، فما مدى الاختلاف بينهما؟

وبالرغم من مرور زمن طويل على هذا النقاش، إلاّ إن حسم هذه القضية لا يزال بعيداً، فحوار الفرقاء فيها لم يأت بنتيجة، والقواسم المشتركة بين المتحاورين قليلة جداً، وأوجه الاختلاف بينهما كبيرة لدرجة أن المراقب يعتقد أن الإتفاق بين الفريقين ضرب من الخيال، وأنّه يستمع إلى حوار طرشان.

هذا الجدل العقيم والاختلاف السقيم، لا نجده غريباً نحن المسلمين. بل إن لدينا قناعة تامة بأن البشر لن يصلوا إلى نتيجة في قضية المساواة بين الجنسين، ولو اجتمعت كل طاقاتهم الذهنية، وتناقشوا الدهر كله. فخالق البشر وحده ولا أحد غيره -سبحانه- هو العالم بما يصلح البشر ويصلح لهم، وهو وحده –جل في علاه- الذي يعلم الجواب الشافي والوافي لحل هذا الخلاف المزمن المستعصي على البشر جميعاً، ومن خلفهم الجن أيضاً.

لقد بين القرآن الكريم القول الفصل في موضوع المساواة بين الجنسين منذ ما يزيد عن ١٤٠٠ سنة، وفي آية معجزة واحدة ، هي قوله الحق تبارك وتعالى في سورة آل عمران (آية ٣٦): ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى وا أعلم بما وضعت **وليس الذكر كالأنثى** ﴾

هذه الآية المعجزة أشتملت الحقيقة الخالدة الدائمة عبر العصور كلها وهي أن المساواة المطلقة الكاملة بين الرجال والنساء غير ممكنة واقعاً لكن المساواة النسبية بين الجنسين هي التي يمكن تحقيقها على أرض الواقع.

لقد أخطأ كثير من الغربيين حينما تصوروا أن الفروق بين الرجال والنساء، ما هي إلاّ فروق تشريحية وعضوية (فسيولوجية)، تتمحور حول حجم الأعضاء فقط، فنظروا إلى المرأة على أنها "**رجل صغير الحجم**".

إن هذا البحث يهدف إلى مراجعة الدراسات والبحوث العلمية والطبية الحديثة، للوقوف على حقيقة المساواة بين الجنسين، هل هي مساواة مطلقة كما يراها الغربيون، أم هي مساواة نسبية كما يراها المسلمون؟ وما مدى السند العلمي الذي ترتكز عليه كل من المقولتين.

متساوون......لكن مختلفون.

ساوى القرآن الكريم بين الرجل والمرأة في قضايا كثيرة، ولكنه مايز بينهما في قضايا أخرى قليلة، إذا ما قارناها بقضايا المساواة بينهما. فالشريعة الإسلامية تساوي بين الجنسين في الحقوق والواجبات، والمزايا والعقوبات، وأشياء أخرى كثيرة، لكن عظمتها تكمن في كونها لا تلغي الفروق الذهنية والنفسية والجسمية والتركيبية بين الجنسين، بل تتعاطى معها بأتم الوجوه وأكملها.

الفروق الخَلْقِية.

١- لا أحد يستطيع إنكار الحقيقة الأزلية: أن ا تعالى خلق آدم قبل خلق حواء–عليهما السلام- بسنوات عديدة. ولا يمكن لعاقل أن يماري بأن حواء خلقت من ضلع آدم –عليهما السلام. قال تعالى في مطلع سورة النساء:

﴿يَاأيها الناسُ اتقُوا رَبكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ **وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** وَبَث مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [1]

وقال أيضاً: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُم **جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾ [2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول ا ﷺ: ﴿**استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء**﴾. رواه البخاري (٣٠٨٤)، ومسلم (٢٦٧٠)، وغيرهما [3, 4].

فالبداية كانت مختلفة: بدأ خلق البشرية خلق آدم عليه السلام من طين، ثم أعقب ذلك بسنوات عديدة- لا يعلم عددها إلا ا تعالى- خلق حواء عليها السلام، بطريقة مختلفة تماماً. فلم تُخلق حواء كما خُلق آدم عليهما السلام من طين، بل خُلقت من ضلع زوجها، كما بينت الأحاديث الصحيحة ذلك.

فالحق تبارك وتعالى مايز بين الذكر والأنثى في الخلق لحكمة يعلمها هو سبحانه، فهل سيعترض المطالبون بالمساواة المطلقة بين الجنسين على كيفية الخلق، ويطالبون بالمساواة التامة وإعادة خلق البشرية من جديد؟!!!

٢- الفروق الجسمانية والعضوية : منابت الشعر - ضعف القوة العامة – التركيب الداخلي للجسم مثل جهاز التبويض والجهاز التناسلي ، والرحم وما إلى ذلك .

الفروق الوراثية.

لا تنحصر الفروق بين الرجال والنساء في المظهر الخارجي، بل تتعداه لتصل إلى مستوى الخلايا [6]. فكل خلية في جسم الأنثى مختلفة عن نظيرتها في جسم الرجل. فخلايا الرجل تحوي الكروموسوم (Y) في حين لا يوجد هذا الكروموسوم في الخلايا الأنثوية، ويوجد بدلاً منه نسخة ثانية معطلة من الكروموسوم (X) [7]. وكانت النظرية السائدة بين العلماء هي أن النسخة الثانية من الكروموسوم (X) معطلة تماماً، لتجنب الآثار الفتاكة والمميتة لوجود نسختين فاعلتين في خلايا جسم المرأة. لكن الدراسات التي أجريت خلال العقدين الماضيين، أوضحت خطأ هذا الاعتقاد.

فقد بينت البحوث أن ١٥% من مورثات (جينات) كروموسوم (X) الثاني (المعطل) نشيطة وتترك بصماتها على تراكيب جسم المرأة ووظائفها.وبلغة الأرقام، فقرابة ٢٠٠ مورثة لها نسختان فاعلتان في جسم المرأة، لا يقابلها مورثات فاعلة في جسم الرجال [7-10].

ليس هذا فحسب، بل إن عدد المورثات الفاعلة في كروموسوم (X) من خلايا جسم النساء، يزيد ١٤ ضعفاً عن تلك الموجودة في كروموسوم (Y) الذكري، وأنّه لو قُدر لهذه المورثات أن تكون فاعلة في خلايا الرجال، لتسبب ذلك في هلاك الذكور وانقراض الرجال من المجتمعات البشرية [8,9].

وبالمجمل، فنسبة اختلاف المورثات بين الجنسين تبلغ ٢-٣% من مجموع ٣٠ ألف مورثة، هومجمل عدد المورثات في جسم الإنسان. وبالتالي، فنحن أمام كائنين مختلفين وراثياً، أكثر بكثير مما اعتقده العلماء سابقاً [8,9,11].

الفروق العقلية والذهنية.

بعد دراسات عديدة أُخِذت فيها الفروق البيئية والتعليمية في الحسبان، وجد الباحثون فروقاً كبيرة بين أدمغة الرجال والنساء، وظيفية وتشريحية [12,13]. فدماغ الرجل أكبر من دماغ المرأة بمعدل يصل إلى ١٥% [14,15]، كما وأن عدد خلايا قشرة الدماغ (cortical neurons) في الذكور أكثر بـ ١٥% منه في الإناث، وكثافة الخلايا العصبية (neuronal density) يزيد بـنسبة ١٣% في الذكور عنه في الإناث [16-18]. علاوة على ما سبق، فحجم خلايا دماغ الرجل يزيد بمقدار ٣٠% عن حجم خلايا دماغ المرأة، وأن استهلاك الناقل العصبي دوبامين (dopamine)، وهو ضروري لصفو الدماغ وتحسين المزاج، مختلف بشكل واضح بين الجنسين [19].

ومن جهة أخرى، فالشق الأيمن من قشرة دماغ الذكور أكثر سماكة من الشق الأيسر، في حين لم يجد الباحثون فروقاً تُذكر بين شقي دماغ الإناث [20-21].

لعدة عقود خلت، كان من الممتع فكرياً الإصرار على اعتبار الفروق السلوكية بين الجنسين، هي فروق طفيفة ناجمة عن اختلاف الخبرات بينهما، قبل سن البلوغ وبعده. لكن الأدلة العلمية المتراكمة عزت هذه الاختلافات إلى تأثير الهرمونات الجنسية على دماغ الجنين أثناء الإسبوع الثالث عشر من الحمل، حين ترتفع تراكيز الهرمونات الذكرية ارتفاعاً كبيراً في الأجنة الذكور، فتصوغ الأدمغة بطريقة مختلفة تماماً عن أدمغة الأجنة الإناث [15,21]. هذه الفروق تتعاظم مع مرور الأيام، لتصل تراكيز هرمون التستوستيرون (testosterone) الذكري ٢٠ ضعفاً في البالغين عنه في البالغات، الأمر الذي يفسر حب الرجال للعنف والسيطرة [22].

وفيما يتعلق بالذكاء، فقد أفادت دراسات حديثة نُشرت العام ٢٠٠٥م، بأن دماغ الرجال يحتوي ستة أضعاف ونصف الضعف من المادة السكنية/الرمادية (gray matter) المتعلقة بمعالجة الذكاء أكثر من النساء، في حين تحتوي أدمغة النساء على عشرة أمثال الرجال من المادة البيضاء (white matter) المسؤولة عن التواصل بين أجزاء الدماغ المختلفة.وبالإضافة إلى ما ذُكر، فإن الفص الأمامي (frontal lobe) للإناث هو المسؤول عن الذكاء، بينما تتوزع خلايا الذكاء في الرجال على مساحة واسعة من أدمغة الذكور [23-25]. ومن جهة أخرى، وجد باحثون في الولايات المتحدة وكندا بأن عدد خلايا الدماغ في الرجال أكبر من النساء، في حين تزيد

المساحات البينية بين خلايا الدماغ، وهي مهمة للتواصل بين هذه الخلايا، في النساء عنها في الرجال [26].

ما ذكرناه في الفقرات السابقة، يؤكد بقوة وجود فروق واضحة في الذكاء بين الرجال والنساء. فقد أظهرت دراسة أجريت علي ٢٤ ألف طالب بريطاني أن عدد الطلاب الذين سجلوا ١٢٥ نقطة على مقياس الذكاء هو ضعف عدد الطالبات، بينما بلغ عدد الذكور الذين سجلوا ١٥٥ نقطة ٥،٥ أضعاف عدد الإناث [27].

ومن جهة ثالثة، فقد أظهر فحص الفص الصدغي السفلي (inferior-parietal lobule)، وهو الجزء المتعلق بالانتباه والإدراك والقدرات الذهنية الحسابية، أنّه أضخم في الرجال، وأن الجزء الإيسر منه أكثر ضخامة من الشق الأيمن. أما النساء، فالشق الأيمن من الفص الصدغي السفلي أكبر قليلاً من الشق الأيسر [28]. يذكر أن هذا الجزء من الدماغ مضمحل بشكل ملحوظ في الرجال الذين يعانون من مرض انفصام الشخصية (schizophrenic)، بينما لا يظهر فرق كبير في حجم الفص الصدغي السفلي بين النساء الطبيعيات ومن يعانين من انفصام الشخصية [29,30]

ومن جهة رابعة فإن حجم خلايا تحت المهاد (hypothalamic nuclei)، وهي المسؤولة عن الوظائف الحيوية الأساسية، في الرجال هو ضعف حجمها في النساء [31]. أما أنوية فوق التصالب البصري (nucleus suprachiasmatic) المسؤولة عن تنظيم الدورات الجسمية (body rhythms) فشكلها مختاف في الرجال عما هي عليه في النساء [20,21].

لدى النساء قدرة كبيرةعلى استعادة الذكريات المرتبطة بأحداث عاطفية، بينما يتذكر الرجال الأحداث التي لها علاقة بعناصر متعددة معقدة، كأحداث التنافس والأنشطة الفيزيائية الجسمية. وتشير البحوث إلى وجود أسس تركيبية وكيميائية لاختلاف طبيعة الذاكرة بين الجنسين.فعندما يتعرض قُرَين آمون (hippocampus) المسؤول عن الذاكرة، لهرمونات ذكرية وأخرى أنثوية، فإنّه يستجيب بطريقة مختلفة في الرجال عن استجابته في النساء [32,33].

أما الجهاز الطرفي في الدماغ (limbic system) الذي يعتبر مركز العاطفة، فهو في النساء أضخم وأكثر حساسية وتجاوباً منه في الرجال، كما وأن الذكريات المحزنة تضاعف من وصول الدم إليه أكثر بثماني مرات من الدم الذي يغذي الجهاز الطرفي للرجال. لذا، فإن النشاط الزائد لهذا الجهاز له آثار سلبية على الجنسين، لكن وجود مركب السيروتونين (serotonin) بتراكيز عالية في الرجال يقلل من تلك الآثار السلبية [21].

وبمناسبة الحديث عن السيروتونين (serotonin) وهو ناقل عصبي (neurotransmitter) يؤثر على المزاج بطريقة إيجابية، فقد وجد الباحثون ارتباطاً وثيقاً بين نقصه وحالات الاكتئاب والتوتر والسلوك العدائي والنهم الغذائي [21,35,36]. وبما أن الدورة الشهرية تسبب الاكتئاب عند أغلب النساء، فقد طور الأطباء عقاراً يحسن من كفاءة هذا الناقل العصبي أدمغة النساء، فخفف كثيراً من أعراض الدورة الشهرية لديهن [35,37]. يذكر أن الباحثين في جامعة ماجيل (McGill) وجدوا بأن دماغ الرجل ينتج السيروتونين (serotonin) بنسبة ٥٣% أكثر من النساء، كما وجد باحثو مركز مونتريال للأعصاب أن دماغ الرجل أسرع في انتاجه بـ ٥٢% من دماغ المرأة [38,39].

وفيما يتعلق بالجسم الجاسىء (corpus callosum) والأخدود الدماغي الأمامي (anterior commissure) اللذان يربطان نصفي الدماغ، فهما في النساء أكبر، مما يجعل دماغ المرأة أقل

تخصصاً من دماغ الرجل [20,21,34]. كذلك، تتمتع المرأة بقدرات كلامية (Verbal capabilities) أفضل بكثير من الرجل. فمنطقتا اللغة في دماغ المرأة وهما منطقتا بروكا وويرنيك (Broca and Wernicke areas) أضخم بنسبة ١٨-٢٠% في النساء، مما يعطي المرأة قدرات كلامية أفضل من تلك التي يمتلكها الرجل [40,41].

الفروق الجسمية(الفسيولوجية)

توجد كثير من الفروق التشريحية والوظيفية بين الجنسين. فالنساء بالمجمل أقل وزناً وأقصر بنسبة ١٠% من الرجال، كما يقل وزن أعضاء أجسامهن بنسبة مماثلة. فالمرأة الأمريكية أقصر من الرجل في المعدل بـ ١٣ سم، وأخف منه وزناً بـ ١٥-١٨ كجم [42]، وتختلف عظامها عن عظام الرجل، مما يجعل رأسها أقصر ووجهها أعرض وذقنها أقل حدة ، وأرجلها أقصر، وجذعها أطول نسبياً من الرجل. كذلك، فسبابة النساء (الإصبع الأول) أطول من البنصر (الإصبع الثالث)، بينما العكس صحيح عند الرجال. علاوة على ذلك، فمعدة المرأة وكليتها وكبدها وزائدتها الدودية أكبر من الأعضاء المماثلة للرجل، بينما الرئتان أكبر في الرجل [43,44].

ومن ناحية ثانية، تمتلك النساء ثلاث وظائف لها تأثير كبير على سلوكهن ومشاعرهن، بينما هذه الوظائف الثلاث مفقودة كلياً في الرجال: الدورة الشهرية، والحمل، والإرضاع. كذلك، فأنماط الهرمونات معقد ومتنوع عند النساء. فعلى سبيل المثال، تتخم الغدة الدرقية (thyroid gland) أثناء الحمل والدورة الشهرية، مما يجعل المرأة أكثر مقاومة للجو البارد، ويجعل الجلد أكثر نعومة وخاليا من الشعر [43].

درجة الحرارة الداخلية (core temperature) في النساء أعلى بـ ٠،٤ درجة فهرنهيتية (٩٧,٨ مقابل ٩٧,٤ درجة)، لكن درجة حرارة يد الرجل أعلى بـ ٢,٨ درجة فهرنهيتية (٨٧,٢ مقابل ٩٠ درجة) من يد المرأة [45].

كذلك، فعدد كريات الدم الحمراء أقل بنسبة ٢٠% في النساء، مما يجعلهن يتعبن بسرعة أكثر من الرجال، وهذا يفسر سبب ارتفاع الحوادث بنسبة ١٥٠% بين النساء البريطانيات أثناء الحرب العالمية الثانية، بعد رفع عدد ساعات العمل من ١٠ ساعات إلى ١٢ ساعة، في حين لم يؤثر ذلك على الرجال [43].

قلب المرأة أصغر من قلب الرجل بـ ٢٥%، وعدد ضرباته أسرع بـ ١٠% (٨٠ مقابل ٧٢ خفقة في الدقيقة في الرجل)، وقلب المرأة يحتاج إلى وقت أطول للراحة. وضغط الدم عند النساء أقل بـ ١٠ ملليميترات زئبق من ضغط الرجل، مما يجعل النساء أقل عرضة للإصابة بارتفاع ضغط الدم [43,46,47]. حجم الرئتين في الرجال أكبر من النساء بـ ٢٥-٣٠%، وحجم الكبد أصغر في النساء بنسبة ٢٠% [47, 48].

أما كتلة العضلات، فهي أكبر في الرجال بنسبة ٥٠%، كما أن قوة عضلات النساء توازي ٨٠% فقط من قوة عضلات الرجال، مما يجعل الرجال أكثر قوة وسرعة من النساء [47]. ويرجع السبب في ذلك إلى الناحية الوراثية، حيث تحوي مادة الرجل الوراثية ١٧٥ مورثة تتعلق ببناء العضلات غير موجودة في النساء. هذه المورثات مسؤولة عن تصنيع البروتينات التي ترفع من قدرة الخلايا العضلية البنائية والأيضية [49]. هذا بالإضافة إلى قلة الأوعية الدموية التي تغذّي عضلات النساء بالمقارنة مع كثرتها في الرجال [50].

إن ٢٤% من وزن المرأة يتكون من عضلات، في حين تبلغ هذه النسبة ٤٠% في الرجل. ومن ناحية القوة الجسمية، فقوة المرأة تعدل قرابة ثلثي قوة الرجل، وقوة الجزء العلوي من جسم المرأة تساوي نصف قوته في الرجل، بينما الجزء السفلي يقارب ٧٠% من قوة نظيره في الرجل [51-53]. أضف إلى ذلك أن مساحة النوع الأول من الألياف العضلية للرجال أكبر منه في النساء بمقدار الثلث (٣٤٨٣ مقابل ٤٥٩٧ ميكرون مربع)، بينما تزيدمساحة النوع الثاني من الألياف العضلية بمقدار الضعف تقريباً (٤٠٤٠ مقابل ٧٧٠٠ ميكرون مربع في الرجال) [53].

وإذا ما نظرنا إلى نسب الدهنيات وتوزيعها، فإننا نلاحظ فروقاً جوهرية بين الجنسين. ففي حين تبلغ نسبة الدهون ١٠% من وزن الرجل، نجدها تشكل ٢٢% من جسم المرأة، أغلبها موزع تحت جلد الإناث [55].

الفروق في متوسط العمر.

أستناداً إلى سجل الوفيات الأمريكي لعام ١٩٩٨م، فمن المتوقع أن يزيد متوسط عمر المرأة الأمريكية عن نظيرها من الرجال بحوالي ٥,٧ سنة. كما يتوقع علماء الاجتماع والأطباء الأمريكيون أن يتقلص هذا الفارق العمري بين الجنسين، نتيجة لقلّة أعداد الوفيات بأمراض القلب والسرطانات بين الرجال في السنوات المقبلة [56].

فروق أخرى.

المدخنات أكثر عرضة للإصابة بسرطان الرئة من المدخنين بمرتين [26,57,58]. لقدا غدا سرطان الرئة واحداً من أكثر الأمراض التي تقتل النساء في الولايات المتحدة، حيث دلّت الإحصائيات الطبية تسجيل ما يزيد عن ٨٠ ألف إصابة بين النساء عام ٢٠٠٣م، نجم عنها قرابة ٦٩ ألف وفاة. ويعزو الخبراء تفاقم أعداد الوفيات بين النساء بسرطانات الرئة، إلى التزايد الهائل في أعداد المدخنات في الولايات المتحدة، والتي ازدادت بـ ٦٠٠% منذ ١٩٣٠ وحتى ٢٠٠٣م [59].

أمراض الاكتئاب (Depressive disorders) تصيب ١٠% من الأمريكيات، وهذه النسبة أعلى من مثيلتها في الرجال بمقدار ٢-٣ أضعاف [60, 61].

ومن جهة ثانية، تشكل النساء نحواً من ٩٠% من المصابين بمرض الذئبة الجلدي (lupus)، وهو واحد من أمراض المناعة الذاتية (autoimmune disease). علاوة على ذلك، فالإحصائيات الغربية تشير إلى انتشار أمراض المناعة الذاتية، كالتهاب المفاصل الروماتيدي (rheumatoid arthritis) وتصلب الجلد (scleroderma) وتصلب الأنسجة المتعدد (multiple sclerosis)، بين النساء بدرجة أكبر من الرجال. ويعزو الخبراء تزايد أمراض المناعة الذاتية في النساء إلى الكروموسوم (X) الإضافي عندهن، الذي يفترض أن يكون خاملاً في خلاياهن، لكنّه في حقيقة الأمر ليس كذلك [14, 37].

تتأثر النساء بالتخدير (anesthesia) بطريقة مغايرة عن تلك التي تحدث في الرجال. فهن أسرع صحواً من الرجال بعد التخدير، وهن أكثر استجابة منهم للعقاقير المثبطة للنواقل العصبية المتحكمة بالعضلات [62-65].

وتتأثر النساء بالخمور –المحرمة قطعياً في الشريعة الإسلامية- بدرجة أشد من الرجال، حيث يسبب تعاطيهن للمسكرات تزايداً كبيراً في الحوادث، وأمراض الجهاز الدوراني، وسرطان الثدي، وارتفاع ضغط الدم، وتلاف عضلة القلب، والسكتات الدماغية، وتليف الكبد، وعدم الحمل، وسقوط الأجنّة، والانتحار [66-69]. ويعود السبب في ارتفاع هذه الأمراض بين النساء إلى بطء تعامل أجسامهن مع الكحوليات، لأن إفراز المعدة لخميرة/إنزيم المزيلة للهيدروجين الكحولي (alcohol dehydrogenase) عندهن أقل من إفرازها عند الرجال، مما يزيد من تأثير الخمور على الوظائف الحيوية لديهن [70-72].

تصاب النساء بمرض تسوس العظام (osteoporosis)، حيث يشكلن ٨٠% من الحالات المسجلة في الولايات المتحدة، ويزيد المرض كثيراً بعد سن اليأس [73].

هذه الفروق الجسمية والنفسية والعقلية والصحية، تشير بوضوح إلى حقيقة واحدة لا يمكن إغفالها: **إنّ الفروق بين الرجال والنساء كبيرة لدرجة يتوجب معها التعامل معهن بطريقة مختلفة عن الرجال.**

المساواة المطلقة مُفسدة للبشرية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه ا : لا يساوي الإسلام بين الرجال والنساء في المسائل التي تسبب هذه المساواة إضراراً بأحدهما، لأن المساواة في غير موضعها ضرب من الظلم الشديد [74].

عظمة أحكام الدين الإسلامي.

إن الإسلام هو أعظم دين أنزله ا تعالى على البشرية جمعاء. وتنبع عظمته من المشرع الحكيم الذي أنزل أحكاماً تناسب كل زمان ومكان، كما تناسب كل الناس، وكلّ الأعمار، وكل الأحوال، وكل الظروف، وكل ما فكّر البشر به وسيفكرون.......وليس هناك من قضية مضت أو معضلة استجدت إلاّ والإسلام يقدم لها الحل الأمثل والأكمل.

ولو تمعنّا في القضايا التي ميز الإسلام فيها الرجال عن النساء، نجدها قضايا محدودة بالمقارنة مع الكم الهائل من المسائل التي ساوى هذا الدين العظيم فيها بين الجنسين. وإليكم أبرز المسائل والأحكام الشرعية التي فرق الإسلام فيها بين الرجال والنساء:

١- **الولاية الكبرى**. ويُقصد بها الخلافة أو الإمارة أو المنصب الأعلى في الدولة الإسلامية، فهذا المنصب لا يجوز للمرأة أن تتولاه. أما غير ذلك من مناصب الدولة، ففيه آراء فقهية مختلفة لا يتسع هذا المقام لتفصيلها. ويرجع السبب في هذا التفريق بين الجنسين إلى أفضلية الرجال التي أوردها القرآن الكريم في سورة النساء، آية ٣٤. ويؤكّد هذه الأفضلية الحقيقة التي يعرفها الداني والقاصي، وهي أنّه على الرغم من الأعداد الكبيرة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لم نجد من بينهم جميعا امرأة واحدة. ويؤكد حديث الرسول الكريم هذا المعنى، فقد روي أبو بكر أن رسول ا صلى ا عليه وسلم قال: "**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**" أخرجه البخاري وأحمد والطبراني والحاكم[75-80].

٢- **القوامة في البيت**. قال ا تعالى في الآية ٣٤ من سورة النساء: ﴿الرجال قوامون على النساء **بما فضل ا بعضهم على بعض** وبما أنفقوا من أموالهم﴾. قال ابن كثير رحمه ا في تفسير هذه الآية: "الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها

ومؤدبها إذا اعوجت" [74]. كذلك، فالرجل ملزم بدفع المهر للمرأة والنفقة عليها. ويبين عظمة هذا التشريع ما حدث في ٣٠ نوفمبر/تشرين ثاني عام ٢٠٠٣ م في ولاية بنجاور الهندية، حين تظاهرت آلاف النساء هناك ضد نظام المهور الهندي، الذي يلزم المرأة بدفع مهر مجز للرجل، وإلا عوقبت عقوبة شديدة تصل لحد حرقها حية إن لم تستطع دفع المهر في الوقت المحدد. وهتفت المحتجات أثناء المظاهرة قائلات: "الرجال الحقيقيون لا يطلبون مهراً من المرأة" و "المهر يسبب هلاك المرأة". يذكر أن نظام المهور هذا يتسبب في قتل ٦-٨ هنديات يومياً في ولاية بنجاور وحدها [81].

٣- **نظام الإرث الإسلامي**. قال تعالى: ﴿يوصيكم ا في أولادكم **للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾. سورة النساء، آية ١١. قال القرطبي رحمه ا : لأن ا تعالى يعلم خيراً منهم، فقد جعل قسمة الميراث مبنية على التفريق بينهما، فهو العالم بما يصلحهما [82]. من هنا كان ميراث الذكر ضعف ميراث الأنثى، لأنه ملزم بالنفقة عليها وعلى بيته، فليس من العدل المساواة بينهما في الميراث [74].

٤- **عورة الرجل والمرأة**. أتفق العلماء على أن عورة المرأة أمام الأجانب، تشمل جميع جسمها عدا الوجه والكفين. لكنّهم اختلفوا في تغطية الوجه والكفين، بما لا يتسع المجال هنا لتفصيله. أما عورة الرجل فهي بين السرة والركبة. ومن جهة أخرى، فقد أباحت الشريعة للمرأة لبس الذهب والحرير، وحرمت لبسهما على الرجال من غير ضرورة أو عذر يرخص ذلك.

٥- **شهادة الرجل بشهادة امرأتين**. قال تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونوا **رجلين فرجل وامرأتان** ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾. سورة البقرة، آية ٢٨٢. لكن في المسألة تفصيل يمكن الرجوع إلى كتب الفقه للوقوف عليه.

٦- **الزواج بكتابية**. قال تعالى: ﴿**ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا..... ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمنّ**﴾. سورة البقرة، آية ٢٢١. بينت هذه الآية الكريمة حرمة الزواج من أهل الكتاب، رجالهم ونسائهم. لكن أبيح للرجال الزواج من الكتابيات، وبقي التحريم في حق النساء المسلمات إلى يو القيامة، وذلك في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَ لَكُمْ الطيبَاتُ وَطعَامُ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِل لَكُمْ وَطعَامُكُمْ حِل لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾. سورة المائدة، آية ٥. وعليه إذا تزوجت المسلمة من كتابي في ديار المشركين، فهو زنا وهذا العقد باطل [83].

٧- **حق الطلاق**. أعطى الإسلام حق الطلاق للرجل، وقد وضحت ذلك الآيات ٢٢٨ وحتى ٢٣٢ في سورة البقرة، حيث ذكرت هذه الآيات الطلاق بصيغ التذكير، ولم تذكره ولو لمرة واحدة بصيغة التأنيث، مما يشير بجلاء إلى أن هذا الحق للرجل دون المرأة. لكن ذلك ليس على إطلاقه، فللمرأة الحق في طلب الطلاق من الرجل، وتفصيل ذلك يطول شرحه، وليس هذا موضعه.

٨- **السفر لوحدها**. يحق للرجل السفر وحده، بينما لا يحق للمرأة ذلك دون وجود مَحْرَم (الأب، الزوج، الابن،الأخ، العم، الخال) يرافقها. وفصل الدكتور يوسف القرضاوي- أطال ا في عمره ونفع به المسلمين- هذه المسألة قائلاً: يقضي مبدأ الشريعة بعدم جواز سفر

المرأة لوحدها، بل يجب عليها اصطحاب زوجها أو أحد محارمها في السفر، لما رواه البخاري وغيره عن ابن عباس رضي ا عنهما قال النبي صلى ا عليه وسلم: " لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إلا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ" [84].

٩- شهود **صلاة الجمعة والجماعات**. أوجبت الشريعة الإسلامية على الرجال شهود صلاة الجمعة، لكنّها أعفت المرأة من هذا الواجب، بل وجعلت صلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد. لكن ذلك لا يعني منعها من حضور الجمعة والجماعات، إذا ما قامت بواجباتها البيتية ورعاية أطفالها بالوجه المطلوب منها [85]. ومن الواجب أن نشير في هذا المقام، إلى عدم جواز إمامة المرأة الرجال في صلاة الجمعة أو الجماعات، وإن أي صلاة تقودها المرأة للرجال هي صلاة باطلة لها ولمن أمتهم من الرجال [86]، ويلحقها ومن إئتم بها من الرجال إثم على سوء صنيعهم واستهزائهم بأحكام الشريعة.

١٠- **الجهاد في سبيل ا** . أوجب ا تعالى القتال على الرجال، وأعفى النساء من هذا الواجب إلاّ في حالة واحدة، هي حالة النفير العام ضد عدو يريد القضاء على بيضة الإسلام واجتثاث المسلمين من الأرض كلها. إن الأحكام المتعلقة بالقتال تشير بوضوح إلى مدى حرص الإسلام على المرأة ورحمته بها.

وخلاصة القول: فرقت أحكام الشريعة الإسلامية العظيمة بين الرجال والنساء في بعض الأحكام، وساوت بينهما في كثير من الأحكام. وينبغي على المسلم أن يرى في هذه الأحكام دليلاً واضحاً على رحمة ا بالعباد، وعظمة الشارع-جل وعلى- العليم بما يصلح الخلق جميعاً.

أما غير المسلمين وأشباههم من أدعياء الإسلام، فيعتبرون أي تفريق بين الرجال والنساء في الأحكام ضرب من اضطهاد المرأة وظلمها، ويصرون بعناد على المساواة المطلقة بين الجنسين. **وأنا كامرأة أختلف مع هذه الرؤيا، وأعتقد جازمة بأنّ المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، بالغة الضرر بنا نحن النساء، ومدمرة لمجتمعاتنا.**

﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾. سورة الملك، آية ١٤.

وإنّي كامرأة، أحثّ أخواتي المسلمات أنْ يرضين ويقبلن بفرح وسرور نعمة ا تعالى، المتمثلة في أحكام القرآن الكريم وسنة الرسول الكريم صلى ا عليه وسلم. فإذا ما قال ا تعالى بأفضلية الرجال، فهم بلا شك أفضل منا نحن النساءأفضلية ضرورية لصلاح الحياة ويقابل ما يكافأها من الواجبات ولا أجد في نفسي أدني حرج في قبول هذه الحقيقة والقول بها، فا أعلم من العباد.

وأنا كامرأة أدرك أن تفضيل الرجال على النساء حزمة متكاملة، تشمل الحقوق والواجبات والمزايا والتبعات. لذا يجب علينا -كنساء- أن نتذكر الأعباء التي أُلقيت على عاتق الرجل، قبل النظر إلى المزايا التي أُعطيت له نظير هذه الأعباء الإضافية التي لم تحملها الشريعة للمرأة.

ولدي يقين واقعي، بأن الرجال مثقلون بما ألقي عليهم من أعباء، مقابل المزايا القليلة التي يحصلون عليها. وأقول بصدق لأخواتي المسلمات: لا أتمنى أن أكون رجلاً ولو أعطيت عشرة أمثال المزايا المعطاة للرجل. اتمنى على جميع المسلمات، نبذ فكرة المساواة بالرجال نهائياً، لأن المساواة المطلقة لو حصلت-لا قدر ا - فستصبح حياتنا كنساء بائسة وتعيسة فوق

ما نتصور، حياة أشبه بالجحيم حيث يضيع منها أجمل شيء وهو التزاوج الفطري والمودة الغريزية التي تقوم عليها أسس التقارير بين العنصريين.

REFERENCES

1. **سورة النساء: آية (١)**
2. **سورة الزمر: آية (٦)**
3. http://hadith.al-islam.com/Display/Display.asp?Doc=9&ID=48530
4. http://hadith.al-islam.com/Display/Display.asp?Doc=10&ID=46415
5. http://hadith.al-islam.com/bayan/display.asp?Lang=eng&ID=832
6. http://www.narth.com/docs/york.html
7. Nature March 17, 2005.
8. http://www.rense.com/general63/galaxyofgeneticdifferences.htm
9. http://news.scotsman.com/scitech.cfm?id=295472005
10. http://www.psychologytoday.com/articles/PTO-20030624-000003.html
11. http://www.txtwriter.com/onscience/Articles/ychromosome.html
12. http://www.cerebromente.org.br/n11/mente/eisntein/cerebro-homens.html
13. http://www.alite.co.uk/newsletters/2003/february.htm
14. http://www.princeton.edu/pr/news/98/q3/0917-lupus.htm
15. http://www.umich.edu/~psycours/531/cognitive_function/tsld006.htm
16. Pakkenberg, B. and H.J. Gundersen, *Neocortical neuron number in humans: effect of sex and age.* J Comp Neurol, 1997. 384 (2): p. 312-20.
17. Rabinowicz, T., et al., *Gender differences in the human cerebral cortex: more neurons in males; more processes in females.* J Child Neurol, 1999. 14(2): p. 98-107.
18. http://en.wikipedia.org/wiki/Gender_differences
19. http://www.cumc.columbia.edu/dept/partnership/brain.html
20. http://www.csua.berkeley.edu/~reka/hormones.htm
21. www.glycemic.com/gcm/print_index.htm
22. http://www.contentwatch.com/learn_center/article.php/165
23. http://www.nytimes.com/2005/01/24/science/24women.html?
24. http://www.sciencedaily.com/releases/2005/01/050121100142.htm
25. http://today.uci.edu/news/release_detail.asp?key=1261
26. http://www.nzdf.org.nz/update/messages/1485.htm
27. http://www.amren.com/mtnews/archives/2005/08/men_cleverer_th.php
28. Frederikse, M.E., Lu, A., Aylward, E., Barta, P., Pearlson, G. Sex differences in the inferior parietal lobule. *Cerebral Cortex* vol 9 (8) p896 - 901, 1999.
29. Frederikse M, Lu A, Aylward E, Barta P, Sharma T, Pearlson G. Sex differences in inferior parietal lobule volume in schizophrenia. Am J Psychiatry. 2000;157 (3):422-427.
30. Goldstein JM, Seidman LJ, O'Brien LM, et al. Impact of normal sexual dimorphisms on sex differences in structural brain abnormalities in schizophrenia assessed by magnetic resonance imaging. Arch Gen

Psychiatry. 2002;59 (2):154-164

31. LeVay S. A difference in hypothalamic structure between heterosexual and homosexual men *Science*. 253(5023):1034-7, 1991.

32. http://www.oregoncounseling.org/ArticlesPapers/Documents/DifferencesMenWomen.htm

33. http://www.oregoncounseling.org/ArticlesPapers/Documents/DifferencesMenWomen.htm

34. http://www.physicspost.com/articles.php?articleId=159&page=2

35. http://www.tampax.com/en_us/pages/wmn_main.shtml?pageid=AR0016

36. Somer, E. Food & Mood. Henry Holt and Company, LLC, 1999. (Low serotonin causes food craving and depression pg. 144.

37. http://www.cwhn.ca/resources/sexual_diff/

38. Nishizawa S, Benkelfat C, Young SN et al. (1997), Differences between males and females in rates of serotonin synthesis in human brain. Proceedings of the National Academy of Science USA 94(10):5308-13.

39. Begley, Sharon. Gray Matters. Newsweek, March 27, 1995, pp. 48-54.

40. Muck-Seler D, Pivac N, Jakovljevic M. Sex differences, season of birth and platelet 5-HT levels in schizophrenic patients. J Neural Transm. 1999;106(3-4):337-347.

41. Schlaepfer T.E., Harris G.J., Tien A.Y., Peng L., Lee S., Pearlson G.D. Structural differences in the cerebral cortex of healthy female and male subjects: a magnetic resonance imaging study. *Psychiatry Res.* 1995 Sep 29;61(3):129-35.

42. Astrand P, Rodahl K, Dahl HA, Stromme SB. (2003). Textbook of Work Physiology: Physiological Bases of Exercise. 4th Ed. New York: McGraw-Hill.

43. http://www.keepmedia.com/pubs/uExpress/2000/02/06/554886?extID=10037&oliID=229

44. Harasty J., Double K.L., Halliday, G.M., Kril, J.J., and McRitchie, D.A. Language-associated cortical regions are proportionally larger in the female brain. *Archives in Neurology* vol 54 (2) 171-6, 1997.

45. http://www.junkscience.com/news2/coldhand.htm

46. http://ajc.healthology.com/webcast_transcript.asp?b=ajc&f=cardio&c=cardio_malevsfemale&spg=SCH

47. http://www.physicallytrained.com/fm21-20/physical-fitness-training/appendix-a.shtml

48. Tarnopolsky, M.A., Atkinson, S.A., Phillips, S.M., MacDougall, J.D. (1995). Carbohydrate loading and metabolism during exercise in men and women. Journal of Applied Physiology 78 (4): 1,360-368.

49. http://www.muscle-fitness.com.au/380.html

50. Reybrouck, T., Fagard, R. Gender differences in the oxygen transport system during maximal exercise in hypertensive subjects. Chest 115 (3): 788-792, 1999.

51. http://www.overspeedtraining.com/women_1.htm

52. http://www.beyondmass.com/forums/showthread.php?threadid=192

53. Miller AE, MacDougall JD, Tarnopolsky MA, Sale DG (1993). Gender differences in strength and muscle fiber characteristics. *Eur J Appl Physiol Occup Physiol. 66(3)*: 254-62

54. Elbers, J.M., Asscheman, H., Seidell, J.C., Gooren, L.J. Effects of sex steroid hormones on regional fat depots as assessed by magnetic resonance imaging in transsexuals. American Journal of Physiology 276(2 Pt 1):E317-325, 1999.

55. http://freespace.virgin.net/martin.shakeshaft/women.html

56. Division of Vital Statistics—Center for Disease Control and Prevetnion. Deaths: Final data for 1998. *National Vital Statistics Reports*. 2000;48(11).

57. womenshealthresearch.org/events/sam_houston.htm

58. Marrugat J, Sala J, Masiá R, Pavesi M, Sanz G, Valle V, Molina L, Serés L, and Elosua R (1998). Mortality Differences Between Men and Women Following First Myocardial Infarction. *JAMA 280*: 1405-1409.

59. http://www.eurekalert.org/pub_releases/2004-04/nmh-lci040804.php

60. Burt VK, Stein K. (2002). Epidemiology of depression throughout the female life cycle. J Clin Psychiatry

63 (Suppl 7): 9-15.

61. http://www.womenshealthresearch.org/hs/facts_mental.htm

62. Back DJ, Orme ML. Pharmacokinetic drug interactions with oral contraceptives. Clin Pharmacokinet. 1990;18(6):472-484.

63. Thurmann PA, Hompesch BC. Influence of gender on the pharmacokinetics and pharmacodynamics of drugs. Int J Clin Pharmacol Ther. 1998;36(11):586-590.

64. Xue FS, An G, Liao X, Zou Q, Luo LK. The pharmacokinetics of vecuronium in male and female patients. Anesth Analg. 1998;86(6):1322-1327.

65. Xue FS, Zhang YM, Liao X, Liu JH, An G. Influences of age and gender on dose response and time course of effect of atracurium in anesthetized adult patients. J Clin Anesth. 1999;11(5):397-405.

66. Ma X, Baraona E, Goozner BG, Lieber CS. Gender differences in medium-chain dicarboxylic aciduria in alcoholic men and women. Am J Med. 1999;106(1):70-75.

67. Fernandez-Sola J, Estruch R, Nicolas JM, et al. Comparison of alcoholic cardiomyopathy in women versus men. Am J Cardiol. 1997;80(4):481-485.

68. Bradley KA, Badrinath S, Bush K, Boyd-Wickizer J, Anawalt B. Medical risks for women who drink alcohol. J Gen Intern Med. 1998;13(9):627-639.

69. Tuyns AJ, Pequignot G. Greater risk of ascitic cirrhosis in females in relation to alcohol consumption. Int J Epidemiol. 1984;13(1):53-57.

70. Smith WB, Weisner C. Women and alcohol problems: a critical analysis of the literature and unanswered questions. Alcohol Clin Exp Res. 2000;24(8):1320-1321.

71. Frezza M, di Padova C, Pozzato G, Terpin M, Baraona E, Lieber CS. High blood alcohol levels in women. The role of decreased gastric alcohol dehydrogenase activity and first-pass metabolism. N Engl J Med. 1990;322(2): 95-99.

72. Seitz HK, Egerer G, Simanowski UA, et al. Human gastric alcohol dehydrogenase activity: effect of age, sex, and alcoholism. Gut. 1993;34(10):1433-1437.

73. Rabinowicz T., Dean D.E., Petetot J.M., de Courten-Myers G.M. Gender differences in the human cerebral cortex: more neurons in males; more processes in females. *J Child Neurol.* 1999 Feb;14(2):98-107.

74. تفسير القرآن العظيم لابن كثير. المجلد الأول، ص ٥٠٣.

75. http://www.khilafah.net/subajhisa.php?documentID=18&subDocument=20

76. http://www.quran-radio.com/moftians2.htm

77. http://www.icsfp.com/Ar/Contents.aspx?AID=1846

78. http://www.saaid.net/Doat/assuhaim/n/6.htm

79. http://faculty.kfupm.edu.sa/IAS/howsawi/khotab/441.htm

80. http://arabic.islamicweb.com/books/albani.asp?id=539

81. http://www.hindunet.org/onps/default.php?dtstr=20031130&Formsearchresults_Page=3

82. http://quran.al-islam.com/Tafseer/DispTafsser.asp?nType=1&bm=&nSeg=0&l=arb&nSora=4&nAya

83. http://thetruereligion.org/modules/wfsection/article.php?articleid=254

84. http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?pagename=IslamOnline-English-Ask_Scholar/FatwaE/FatwaE&cid=1119503544964

85. http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?cid=1141277534839&pagename=IslamOnline-English-Ask_Scholar%2FFatwaE%2FFatwaEAskTheScholar

86. http://memri.org/bin/articles.cgi?Page=archives&Area=ia&ID=IA22705